جامعة المنصورة
كليـة الآداب

تقنيات السرد
في أدب رحلة الأندلسيين إلى الحجاز
رحلة ابن العربي أنموذجا

إعـــداد
أ. د. عبدالله بن خميس بن سوقان العُمري
أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة الباحة
المملكة العربية السعودية

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد السادس والسبعون – يناير ٢٠٢٥

تقنيات السرد في أدب رحلة الأندلسيين إلى الحجاز
رحلة ابن العربي أنموذجا

أ. د. عبدالله بن خميس بن سوقان العُمري
أستاذ الأدب والنقد بقسم اللغة العربية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة الباحة
المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

أدب الرحلة، شكل أدبي له خصوصيته السردية، وله إسهاماته القيّمة في حقول الأدب، التاريخ، الجغرافيا، الأخبار والسير، ومن الرحلات التي تعد أساساً لهذا الفن في الأدب الأندلسي، رحلة ابن العربي، الذي يعد رائد هذا الفن، وأول من شقّ الطريق أمام الرحل بالغرب الإسلامي، وقد ابتدأها عام (٤٨٥هـ)، واستمرت ما يربو على عشرة أعوام ، تنقل خلالها من الأندلس غرباً ثم الشمال الإفريقي إلى بلاد الشام والعراق شرقاً، ثم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، ومنها عاد مرة أخرى إلى العراق ثم إلى مدينته إشبيلية، مروراً بالإسكندرية، وفيها توفي والده، ثم مراكش إلى أن عاد إلى إشبيلية مرة أخرى.

ويقف البحث على تقنيات السرد في رحلة ابن العربي التي دونها في كتابة المفقود (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة)، واعتمد على مختصر هذا الكتاب، الذي حققه سعيد أعراب وألحقه بكتاب مع القاضي أبي بكر بن العربي، وقد خلص إلى بروز السرد التقريري في حكي ابن العربي لأحداث رحلته، ووصفه الدقيق لمجالس العلم ومناظرات العلماء، وذكر بعض المسائل الفقهية التي كانت تدور فيها، وركز السرد على ضمير المتكلم بصيغتي المفرد والجمع ، وضمير الغائب عند حديثه عن العلماء الذي التقاهم وأخذ عنهم، وتميز المسرود له بأنه القارئ الحقيقي لأحداث هذه الرحلة ومحطاتها وزمن تنقلاتها وشخصياتها.

كلمات مفتاحية: *السرد، رحلة، الأندلس، الحجاز، ابن العربي.*

مقدمـــــة

عرفت البشرية الرحلة والانتقال من مكان إلى آخر باعتبار ذلك فعلا إنسانيا يحمل تجارب وخبرات اختلط فيها اليومي بالمتخيل، وكانت قوافل التجارة تجوب صحراء الجزيرة العربية، فأهل مكة حملوا عروض التجارة وسلعها بين حوضي المحيط الهندي، والبحر المتوسط، واتخذت قوافلهم طريقين معروفين تسلكهما: طريق إلى الخليج من شرق مكة، وطريق كانوا يذهبون فيه شمالا إلى خيبر ثم إلى الحيرة عبر وادي الرّمة[(١)]، وكانت تلك الرحلات بمثابة الأمن الغذائي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**لإيلف قريش، إلفهم رحلة الشتاء والصيف، فليعبدوا رب هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع وءامنهم من خوف**﴾[(٢)]، فقد كانت الرحلة عند العرب قبل الإسلام لتأمين لقمة العيش، سواء رحلات التجارة، أو الانتقال من مكان إلى آخر بحثا عن الماء والكلأ الذي تعيش عليه مواشيهم.

---

(١) انظر: تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (ط٨)، ص٧٦، نقلا عن: كتاب المغازي، محمد بن عمر بن واقد، تحقيق: د. مارسدُن جونس، عالم الكتب، بدون(ط ، ت)، (ج١)، ص٣٦ وما بعدها ٦

(٢) سورة قريش

وبعد ظهور الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية تعددت أنواع الرحلة، فقد خرج العرب المسلمون لنشر الدين الجديد في الأقطار، ثم رحلات طلب العلم بين الأقطار الإسلامية، ورحلات المسلمين من شتى الأقطار إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد "كان أداء فريضة الحج نقطة انطلاق للرحالة الحاج، يندفع بعدها إلى السفر في البلاد المختلفة، وتفقد عادات أهلها واستقصاء أحوالهم، وبالإضافة إلى نشر الإسلام وأداء فريضة الحج كانت هناك عوامل مساعدة على الرحلة، كالتجارة ونقل البريد وجباية الخراج وما إلى ذلك"[٣]، فقد تعددت الرحلات وفقا لأهداف أصحابها ومدونيها، فالرحلة انتقال في الزمان والمكان، وسفر لصاحبها في الفكر والمعرفة، وقد عمد إليها الإنسان منذ مراحل حياته الأولى لتحقيق منفعة فردية أو جماعية.

ويتناول هذا البحث رحلة ابن العربي[٤]، التي ضمنها كتابه: (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة)[٥]، كنموذج لأدب رحلة الأندلسيين إلى الحجاز، لما لهذه الرحلة من أهمية أدبية[٦]، "فقد سجل ابن العربي هذه الارتسامات اللطاف في شبه مذكرات، حررها بأسلوب أدبي رفيع، فكان بحق رائد هذا الفن، وأول من شق الطريق أمام الرحل بالغرب الإسلامي"[٧]، وقد صور فيها الحياة الفكرية والاجتماعية بأقطار المشرق العربي في القرن الخامس الهجري، ووصف كثيرا من مدنها، ووقف طويلا عند بيت المقدس وأماكنها المقدسة، " وتحدث عن الشيوخ الذين لقيهم في مصر، وبيت المقدس، وعسقلان، ودمشق، وبغداد، والحرمين الشريفين، ودوّن رواياته عنهم، وأحاديثه معهم"[٨].

ولما يعترض الرحالة من أحداث ومواقف أثناء سفره، فإنه يعمد إلى ذكرها في مدوّنته، وهذا يستدعي منه الاستعانة بأسلوب السرد، الذي يتيح له إعادة إنتاج تلك الأحداث والوقائع التي عاشها على أرض الواقع

---

(٣) الرحلات في التاريخ الإسلامي، د. عيسى فتوح، مجلة التربية ومنظمة الثقافة لدول الخليج، ص١٩٠

(٤) أبو بكر بن العربي، (محمد بن عبدالله)، (٥٤٣هـ)، رحل مع أبيه من الأندلس، وطاف بكثير من بلاد المشرق في مصر والشام ومكة وبغداد، وغيرها، انظر: أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، (ج١)، (ط٢)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م، ص٦، وانظر كذلك: قانون التأويل، أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي، دراسة وتحقيق محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (ط١)، ١٤٠٦هـ، وكذلك: مع القاضي أبي بكر بن العربي، سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط١)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص١٨٥-٢٢٧

(٥) تشير بعض المصادر إلى أن كتاب: (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة) فقد مع كتب ابن العربي الأخرى عندما استلبت داره ومتاعه إبان توليه القضاء بإشبيلية، ولعله أُحرق مع ما أُحرق من كتبه، انظر: بيوتات فاس الكبرى، إسماعيل بن الأحمر، (ت٨٠٧هـ)، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، ص٦١

(٦) نص الرحلة – موضوع الدراسة – مطبوع في كتاب (قانون التأويل) لابن العربي، دراسة وتحقيق: محمد السليماني، ص٤١٤-٤٥٤، وكذلك كتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، سعيد أعراب، ص١٨٥-٢٢٧، وقد اعتمد ابن العربي على ذاكرته في كتابة أحداث رحلته بعد أن فقد كتاب ترتيب الرحلة

(٧) مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٥

(٨) السابق ص٦

في شكل أدبي، فهو يعمد إلى تحويل المرئي والمحسوس بالنسبة له إلى تصوير، وتصيير الغائب إلى ضرب من الحضور، فهو بالسرد يقيم علاقة بينه وبين المتلقي، ليجعله مشاركا له في رحلته[٩]، وبما أن مضمون أي رحلة يكاد لا يخلو من "الأساطير والخرافات، وبعض المحسّنات البلاغية، وجمال الأسلوب، وحسن التعبير، وارتقاء الوصف، وبلوغه حدا كبيرا من الدقة، علاوة على ما يستعين به – أحيانا– من أسلوب قصصي سلس، مشوق"[١٠]، فإن الرحالة يجعل القارىء مصاحبا له في رحلته، معايشا لأحداثها، وكأنه يشاركه المشاهد التي شاهدها، من خلال تقنيات السرد التي يلجأ إليها الرحالة.

ويتلمس البحث الإجابة عن التساؤلات التالية: ما بواعث ابن العربي لهذه الرحلة؟ وما التقنيات السردية التي برزت في كتابته لها؟ وما قيمتها الأدبية؟

وللإجابة عن تساؤلات الدراسة، فقد جاءت في ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول:

مفهومات الدراسة:

يعد ضبط المصطلحات من الأمور المهمة لتجلية الموضوعات البحثية عامة، وفي هذه الدراسة يمثل ضبط المصطلحات أهمية لتجلية المراد منها، والاستنتاجات المتعلقة بتقنيات السرد في رحلة ابن العربي كأنموذج لأدب رحلة الأندلسيين إلى الحجاز.

ويعد السرد من المصطلحات النقدية الحديثة، رغم قدمه في التراث اللغوي بتسميات مختلفة، فنسميها: قصة، أو رواية، أو حكاية شعبية، أو مقامة، أو غير ذلك.

أولا_ مفهوم الرحلة:

رحل: الراء والحاء واللام أصل واحد يدل على مضيٍّ في السفر، يقال: رَحَلَ رِحْلَة، رَحِيل: ذو رِحْلَة، إذا كان قويا على الرِّحْلَة، و الرِّحْلَة: الارتحال[١١].

والرِّحلة: " من رَحَلَ فلان وارْتَحَلَ وتَرَحّلَ، والاسم: الرّحيل"، والرِّحلة بالكسر: الارتحال، يقال: دنت رِحْلتنا[١٢].

(٩) انظر: تقنيات السرد في الرحلة الورثيلانية، عيسى طهاري، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م، ص٢٤

(١٠) مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، سيد حامد النساخ، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، (د. ط، ت)، ص٨

(١١) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، مادة: رَحَلَ

(١٢) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، (ط٤)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م

وأدب الرحلة: شكل أدبي له خصوصيته التي تشير إلى تعدد الملامح الشكلية، وكذلك الأساليب والصيغ والخطابات، ولذا تعددت المفاهيم والتعريفات التي تناولته[١٣]، فالرحلة في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: "مجموعة الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، لتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، ويجمع بين كل هذا في آنٍ واحد"[١٤]، ويعرف عماد الدين خليل الرحلة بأنها: "حركة في الطول والعرض... تجوال في جغرافية الأماكن والظواهر والأشياء ... وإيغال في النبض الذي يكاد يغيب عن العيان"[١٥]، ويعرف محمد الحاتمي الرحلة بأنها: "خطاب تنشئة ذات مركزية، هي ذات الرحالة، تحكي فيه أحداث سفر، وتصف الأماكن المزورة والأشخاص الذين لقيتهم، وما جرى معهم من حديث، وغايتها من هذا الحكي إفادة القاريء وإمتاعه"[١٦]

ولتعدد تعريفات الرحلة فإن هناك فارق بين الرحلة وأدب الرحلة، والناقد لا يقف بدراسته في أدب الرحلة عند الحدود التاريخية التي يركز عليها المؤرخ، ولا الظواهر الجغرافية التي تعنى بها الدراسات الانثربولوجية، وإنما يتناولها من منظور السرديات كصيغة لغوية "لها سماتها الأسلوبية التي تميزها عن غيرها من الأشكال التعبيرية، وأن المضامين والقيم ما هي إلا نتيجة لهذه الصيغة وهذا الاختيار الأسلوبي، فهي حكاية يسردها راوٍ محدد بصيغة وأسلوب محددين، وزمن معين، وأشخاص وأحداث، وفضاء كلي، وأمكنة متنوعة"[١٧]

ثانيا_ السرد:

السرد في اللغة: "تقدمة شيء تأتي به متسقا بعضه إثر بعض، سرد الحديث ونحوه، مسرده سردا إذا تابعه"[١٨]، ويقال: فلان يسرد الحديث: إذا كان يجيده، ولم يكن يسرد الحديث سردا، أي: يتابعه ويستعجل فيه، وسرد القرآن: تابع قراءته في حذر منه، وسرد الحديث والقراءة، أي: أجاد سياقها[١٩].

(١٣) انظر: البنية السردية في الرحلة المازنية إلى الحجاز، د. عبدالله بن خميس العمري، مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، العدد(٢٤)، محرم ١٤٤٢هـ، سبتمبر ٢٠٢٠م، ص١٤٢

(١٤) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، (ط٢)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م، ص١٧

(١٥) من أدب الرحلات، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، ٢٠٠٥م، ص٦

(١٦) الرحلات المغربية السوسية، محمد الحاتمي، دار المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠١٢م، ص٣٠

(١٧) تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، د. عبدالعليم محمد إسماعيل علي، مطبوعات جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي (الدورة الثامنة)، ٢٠١٨م، ص٨

(١٨) لسان العرب، مادة: سَرَدَ

(١٩) انظر: مختار الصحاح، عبدالقادر الرازي، تحقيق: إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥م، مادة: (سَرَدَ)، ص١٩٤

ويعرف السرد بأنه: العملية التي يقوم بها السارد أو الروائي وينتج عنها النص القصصي المشتمل على اللفظ، أي: الخطاب القصصي والحكاية، أي: الملفوظ القصصي(٢٠)، وهذا يعني تتابع الحديث، فسرد الحديث سردا، يعني: تتابع الكلام بعضه مع بعض، ويولّد تتابع الحديث الانسجام في السياق لينتج عنه فهم الحديث، فالسرد هو الحكي، ويقوم على دعامتين أساسيتين، أولهما: أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداثا معينة، وثانيهما: أن يعيّن الطريقة التي تحكى بها القصة(٢١)، وتسمى هذه الطريقة سردا، ويعنى السرد "بنقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية"(٢٢)، وهو ظاهرة إنسانية تضرب بجذورها في عمق التاريخ البشري، ولا يخلو تراث أي لغة من ظواهر سردية نطلق عليها تسميات مختلفة، فنسميها قصة، أو رواية، أو حكاية شعبية، أو أسطورة، أو مقامة، أو غير ذلك، مما قد لا يتأتى حصره بسبب عمق تاريخ السرد وتنوع أنماطه في الثقافات المختلفة(٢٣).

وجوهر العملية السردية تقوم "على إعادة تشكيل الواقعة الحقيقية أو الخيالية، أي: الطريقة التي بها وصف الأفعال بعلاقاتها المختلفة وتشعباتها، وتقع مهمة انتقاء الآليات والتقنيات في توصيف الأفعال وتوصيلها إلى المتلقي على عاتق السارد الذي يحدد من خلال إدراكه للحكاية الكيفية التي يتم بها نقل الواقعة"(٢٤).

مما سبق نلحظ أن تعريفات السرد تشير إلى القصة كفن سردي، وهي في أساسها تعتمد على الحكي، وهو ما يعتمد عليه أيضا أدب الرحلة القائم على نقل الأحداث وشخوصها وأمكنتها في قالب لغوي.

المبحث الثاني: بواعث رحلة ابن العربي، ومسارها، وتدوينها:

أولا_ البواعث:

تصنف الرحلات وفق الدوافع التي دعت أصحابها للارتحال، فهناك دوافع ذاتية، تعد الأساس الذي تبنى عليه الرحلة، ثم تأتي الأسباب الظاهرة لتكون مبررا للقيام بالرحلة(٢٥)، وبالنظر لرحلة ابن العربي نجد أنها تعود للبواعث التالية:

١ - الباعث العلمي:

(٢٠) انظر: مدخل إلى نظرية القصة، سمير المرزوق، جميل شاكر، (ط١)، الدار التونسية للنشر، بيروت ١٩٩٧م، ص٧٧-٧٨

(٢١) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣م، ص٤٥

(٢٢) تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٧م، ص٢٨

(٢٣) المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، (ط١)، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ٢٠٠٣م، ص٥

(٢٤) البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ميساء سليمان إبراهيم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م، ص١٤

(٢٥) انظر: الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ناصر عبدالرزاق الموافي، دار النشر للجامعة المصرية، مكتبة الوفاء، القاهرة، (ط١)، ١٩٩٥م، ص٢٦

حث الإسلام على طلب العلم، ونزلت أول آية من القرآن الكريم بالأمر بالقراءة التي هي أساس العلم، يقول تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم**﴾[٢٦]، هذا التوجيه الرباني الكريم لرسوله صلى الله عليه وسلم وأمته من بعده يبرز عناية الإسلام بالعلم الذي هو أساس بناء الأمة وصلاحها، ولذا كان على طالب العلم أن لا يتوانى عن تحصيله، ولو تطلّب الأمر الارتحال عن الديار والغربة عن الأهل، مثلما كان يفعل أسلاف الأمة من العلماء والمفكرين، "حينها ارتبطت الرحلة بالعلم، وأصبحت الحواضر تؤم طلبة العلم، إلا إنها لم تتجسد في شكل صورة خطية في ذلك الوقت، فقد حوتها الأفئدة الحافظة دون أي رسم دارس"[٢٧]، ولذا برزت الصلة جلية بين الرحلة والحضارة الإسلامية، فكانت "الرحلات والأسفار من أول السبل لطلب العلم في تلك العصور، فقد كانت الكتب نادرة، وكانت الدراسة العلمية تقوم مقام ما نصنعه اليوم من تتبع المراجع والمؤلفات... وفضلا عن ذلك فقد تعددت مراكز الثقافة في ديار الإسلام، وكان رجال العلم ينتقلون في طلبه من إقليم إلى آخر، يدرسون على مشاهير الأساتذة
ويلقون أعلام الفقهاء والمحدثين واللغويين ثم الأطباء والفلاسفة والرياضيين"[٢٨].

وقد أشار ابن العربي لذلك في بداية حديثه عن رحلته إلى الحجاز حيث يقول: "عجبا لقوم يقادون بالحكمة إلى الحكمة، وإلى العلم بالسلاسل، وآخرين مهملين – بالعدل على الاسترسال في الشهوات، والتخلي في غمرة البطالات... وكان من حسن قضاء الله أني كنت في عنفوان الشباب وريان الحداثة، وعند ريعان النشأة، رتب لي أبي – رحمه الله – معلما لكتاب الله، حتى حذقت القرآن الكريم في العام التاسع"[٢٩]، فابن العربي أخذ نفسه بالعلم وحملها عليه منذ نعومة أظفاره، وكان لوالده الدور الكبير في ذلك[٣٠]، حيث أحضر له معلما يعلمه كتاب الله تعالى، وتعاهد حفظه وحذقه وهو ابن تسع سنين، ثم تعلّم فنون العربية وعلومها، وكذلك الحساب، وفي ذلك يقول: "ثم قرن بي ثلاثة من المعلمين، أحدهم لضبط القرآن بأحرفه السبعة... والثاني لعلم العربية، والثالث للتدريب في الحسبان"[٣١].

ثم يذكر بداية رحلته في طلب العلم بدخول المرابطين إشبيلية التي كان يقيم بها، وقد وصف مقدار تحصيله للعلم وشغفه به إلى أن تبدل حالهم، يقول: "... ثم حالت هذه الحالة الخاصة بالاستحالة العامة

---

(٢٦) سورة العلق، الآيات: (١-٥)

(٢٧) أدب الرحلة الجزائري الحديث، عيسى بخيتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (ط١) ٢٠١٧م، ص٣٠

(٢٨) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، زكي محمد حسن، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط١) ٢٠١٨م، ص٩

(٢٩) مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، القاضي أبي بكر بن العربي، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، سعيد أعراب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط١)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص١٨٦-١٨٧

(٣٠) كان والده أبو محمد، عبدالله بن محمد بن عبدالله العربي (٤٣٥-٤٩٣هـ)، من علماء إشبيلية، وأعيانها البارزين، استوزره بنو عبّاد، وكان من أهل الآداب الواسعة والتفنن والبراعة، انظر: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٩-١٠

(٣١) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٨٧

عند دخول المرابطين بلدنا سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وقد وقع علينا من تلك الحوادث ما كان مدة أسف فوقنا، وصاب بأرضنا فتنة، فأطال ما دارت سحابة بنا، فانصدع الالتئام وتبدد ذلك النظام، وكان لنا خيرة وللإسلام، ولم يكن بأرضنا المقام. فدعت الضرورة إلى الرحلة، فخرجنا والأعداء يشمتون بنا، وآيات القرآن تنزع لنا، وفي علم الباري – جلت قدرته – أنه ما مرّ عليّ يوم من الدهر كان أعجب عندي من يوم خروجي من بلدي، ذاهبا إلى ربي، ولقد كنت مع غزارة السبيبة ونضارة الشبيبة، أحرص على طلب العلم في الآفاق، وأتمنى له حال الصفاق، وأرى أن التمكن من ذلك في جنب ذهاب الجاه والمال، وبعد الأهل بتغيّر الحال، ربح في التجارة، ونجح في المطلب. وكان الباعث على هذا التشبث – مع هول الأمر – همّة لزمت، وعزمة نجمت، ساقتها رحمة سبقت"(٣٢).

لقد كانت الهمة العالية – التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم – والعزم على التحصيل دافعا لابن العربي في طلبه للعلم، فمع هول ما تعرضت له مدينته، وتبدل حال أسرته، إلا إنه لم يزده ذلك إلا إصرارا على مواصلة الطريق والعزم على المسير في طريق هو أشرف طريق، بعد أن أتمّ حفظ القرآن ووجد حلاوة أهل البيان، ولذائذ اللسان بعلوم العربية، وما حصّله من علوم ومعارف أخرى، وقد أخذته عزيمته – بعد توفيق الله له – إلى التطلّع لزيارة المشرق العربي، لما ذُكر له عن علمائها، ومجالسهم وما يدور فيها من مناظرات ونقاشات في شتى المعارف، يقول: "ولقد كنت يوما مع بعض المعلمين، فجلس إلينا أبي – رحمة الله عليه – يطالع ما انتهى إليه علمي في لحظة سرقها من زمانه، مع عظيم أشغاله... فسمعت من جميعهم يقولون: وهذه كتب عظيمة، وعلوم جليلة، جلبها الباجي من المشرق، فصدعت هذه الكلمة كبدي، وقرعت خلدي... ونذرت في نفسي طية: لئن ملكت أمري لأهاجرن إلى هذه المقامات، ولأخذن على أولئك الرجالات، ولأتمرسن بما لديهم من العقائد والمقالات، واستمررت على نية، واكتتمتها عزيمة غير مثنوية"(٣٣).

ثم يذكر خروجه إلى البلدان والمدن التي ارتحل إليها، والعلماء الذين التقاهم، وجلس إليهم، ووصف مجالسهم وما يدور فيها، وقد استقصى في طلبه العلم كل من ذكر له من العلماء في المشرق، يقول: "وما كنت أسمع بأحد يشار إليه بالأصابع، أو تثنى عليه الخناصر، أو تصيخ إلى ذكره الآذان، أو ترفع إلى منظرته الأحداق، إلا رحلت إليه قصيا، أو دخلت إليه قربا"(٣٤).

(٣٢) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩١-١٩٢

(٣٣) السابق ص١٩٢-١٩٣

(٣٤) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢٢٧

٢ - الباعث الديني:

تعد الرحلة إلى المشاعر المقدسة لأداء فريضة الحج من أهم بواعث الارتحال التي "دفعت بالمسلمين إلى الحركة والانتقال، فشدوا الرحال من كل حدب وصوب – كما أمرهم الله ﷻ – نحو الحجاز والبقاع المقدسة"(٣٥)، تلبية لداعي الله عز وجل، وأداءً للركن الخامس من أركان الإسلام، يقول تعالى: ﴿**وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍ عميق**﴾(٣٦)، ولهذا احتلت "الرحلة الحجازية إلى الأماكن المقدسة المرتبة الأولى بين الرّحل، لأن هذه الأماكن تتمتع بمكانة عالية عند المسلمين في كل الأصقاع"(٣٧).

وقد كان الباعث الديني لأداء فريضة الحج أحد البواعث المهمة لرحلة ابن العربي إلى الحجاز، إذ يقول: "لما كانت سنة تسع وثمانين وأربعمائة(٤٨٩هـ)، أهلّ علينا هلال ذي الحجة ليلة يوم الخميس بالدبرة، فرحلنا عنه – وقد فرح الناس بوقفة الجمعة، ليجتمع لهم فضل اليومين: فضل يوم عرفة، وفضل يوم الجمعة... فبتنا بمكان يقال له المسجد، ثم رحلنا سَحَرا، فلما صلينا الصبح وأشرقت الشمس، إذ بقافلة البلقاء ترى فيها النفر المحرمين بالثياب البيض بين الناس، فقلت: ما هذا؟ قال لي بعضهم: هم الشيعة لا يحرمون من ميقات عمر – (ذات عرق)، قلت له: فمن أين لهم هذا؟ قال
لي: هم يزعمون أن عليا خرج من الكوفة، فأحرم من هذا الماء..." (٣٨)، فقد أرّخ ابن العربي لرحلته إلى الحجاز والبقاع المقدسة بعام (٤٨٩هـ)، ووصف في رحلته مناسك الحج التي حرص على أدائها كما أداها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر العلماء الذين التقاهم وجلس إليهم في الحرم الشريف من أقطار العالم الإسلامي، وكذلك وصف زيارته لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقضاء وقته في الروضة الشريفة، والاستماع إلى أحاديث شيوخه، ثم عاد إلى بغداد ليواصل نشاطه العلمي على أيدي علمائها وزوّارها من علماء الأقطار العربية والإسلامية.

ثانيا - مسار الرحلة:

بدأ ابن العربي رحلته إلى الحجاز بخروجه من إشبيلية عندما استولى عليها المرابطون سنة (٤٨٤هـ)، ولم يستطع البقاء فيها بعد أن تبدّلت حاله بتبدّل حال والده الذي استوزره بنوعبّاد، فخرج بصحبة والده صبيحة

(٣٥) تقنيات السرد في الرحلة الورثيلانية ص٣٧

(٣٦) سورة الحج، الآية (٢٧)

(٣٧) أدب الرحلة في المغرب والأندلس، علي إبراهيم كردي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٣م، ص١٢

(٣٨) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المالكي، وضع حواشيه: الشيخ جمال مرعشلي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (ج٤)، ص٤٠-٤١، وقد ورد هذا النص في كتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٣٦، باختصار في بعض الأسطر، وتصرف في بعضها

الأحد مستهل ربيع الأول عام (٤٨٥هـ)[٣٩] قاصدين مالقة،[٤٠]، يقول في ذلك: "... فكان أول بلد دخلت مالقة، فألفيت بها أمة رأسهم الشعبي"[٤١]، ومنها انتقل إلى غرناطة، ثم إلى المرية[٤٢]، يقول: "... ثم طفرت من أغرناطة إلى المرية، فرأيت بها رجالات المسائل والقراءات، وأدباء متوسطي المنزلة..." [٤٣].

ثم ركب البحر لينتقل إلى بجاية،[٤٤]، يقول: "... وركبت البحر محفوزا، فأرفأنا إلى بجاية، فرأيت فيها جماعة من أهل المسائل..." [٤٥].

وبعد أن وصف إقامته في بجاية وثنائه على القاسم بن عبدالرحمن[٤٦]، وقد قصد منزله ودار بينهما حديث طويل استجاده ابن العربي وأثنى فيه على فطنة القاسم، انتقل بعد ذلك إلى ببونة[٤٧]، يقول واصفا خروجه من بجاية: "...ثم خرجنا عنها متساحلين، نقطع البحر قطع القفر، وحالة مصحرين، نطوي السباسب طي التجار السبائب، فلقيت ببونة – فقيهها المسمى بسعد، من أصحاب السيوري، شيخ متوسط في الطريقة..."[٤٨].

ثم انتقل إلى تونس وذكر من مدنها: تونس، سوسة، المهدية، القيروان[٤٩]، يقول: "... ودخلنا تونس ... ثم دخلت سوسة، والمهدية، فلقيت بها جملة من أصحاب السيوري، وغيرهم من فقهاء القيروان، كابن حبيب، وحسّان، واللبيدي، وأبي الحسن بن الحداد..."[٥٠]، وبعد أن وصف مكوثه في مدن تونس، وما حصله فيها من علم، ذكر ابن العربي ارتحاله عبر البحر ليواصل رحلته إلى الحجاز، مرورا ببني كعب ببرقة[٥١]، يقول:"... فلما حان وقت إقلاع المركب في البحر إلى ديار الحجاز، اعتزمنا فركبناه، وقد سبق

(٣٩) انظر: مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٣

(٤٠) مالقة، من المدن الساحلية بالأندلس، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م، (ج٥) ص٤٣

(٤١) انظر: مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٣-١٩٤

(٤٢) غرناطة، المرية، مدينتان من مدن الأندلس، انظر: معجم البلدان، (ج٤)، ص١٩٥

(٤٣) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٤

(٤٤) بجاية: من المدن الساحلية الجزائرية، انظر: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، أبو عبيد البكري، (ط الجزائر)، ١٨٥٧م، ص٨٢

(٤٥) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٤

(٤٦) أحد رجالات بجاية، ومن خواص حكامها، وأدبائها وكتابها، مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي ابن العربي ص١٩٥

(٤٧) ببونة، مدينة جزائرية تعرف حاليا بعنابة، وكانت تعد من أكبر الموانئ الشرقية فيها، انظر: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ص٥٤، وكذلك: مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي ابن العربي ١٩٦

(٤٨) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٦، والسيوري: من شيوخ المالكية

(٤٩) مدن تونسية، انظر معجم البلدان، (ج٢)، ص٦٠، (ج٣)، ص١٧٣، (ج٥)، ص٢٢٩، (ج٤)، ص٤٢٠ على ترتيب انتقاله بين المدن

(٥٠) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٧

(٥١) السابق ص١٩٨

في علم الله أن يعظم عليّ البحر بزوله، ويغرقنا في هوله، فخرجنا من البحر خروج الميت من القبر، وانتهينا بعد خطب طويل إلى بيوت بني كعب بن سليم ونحن من السغب على عطب، ومن العري في أقبح زي... فعطف أميرهم علينا عرق كان فيه من الحضرية، وخفرنا بحرمة أورثتها عنده سجية مصرية إذ كان نشأ في ديار الإسكندرية، ودرت عليه هناك الدرة الدينية، فآوانا وأطعمنا الله على يديه، وسقانا، واحتملنا وكسانا..." (٥٢).

ثم يصف مواصلة سيره إلى مصر بعد أن خرج من برقة، وكان ذلك أواخر ربيع الثاني سنة (٤٨٥هـ)(٥٣)، يقول في ذلك: "... وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر، فألفينا بها جماعة من المحدثين، والفقهاء، والمتكلمين..." (٥٤).

ثم يذكر ارتحاله عن مصر إلى بلاد الشام قاصدا بيت المقدس، وقد وصلها قبل نهاية سنة (٤٨٥هـ)(٥٥)، يقول: "ثم رحلنا عن ديار مصر إلى الشام، وأملنا الأمام، فدخلنا الأرض المقدسة، وبلغنا المسجد الأقصى، فلاح لي بدر المعرفة، فاستترت به أزيد من ثلاثة أعوام..." (٥٦)، وهنا يذكر ابن العربي المدة التي قضاها في بيت المقدس بأنها تزيد عن ثلاثة أعوام، وقد نص على ذلك لطول المدة التي قضاها في الشام، وذلك يعود إلى كثرة مجالس الفقهاء والعلماء والمناظرات التي كانت بين الشافعية والحنفية وغيرهما من الفرق والمذاهب الفقهية الأخرى، ويشير إلى اعتزام والده الحج واعتذاره هو عن الحج ذلك العام رغبة منه في طلب العلم، وهنا إشارة إلى أن الغرض الأساس من الرحلة هو أداء فريضة الحج، وقد تم له ذلك بعد رحلة طويلة في طلب العلم، يقول: "فقلت لأبي – رحمة الله عليه – إن كان لك نية في الحج فامض لعزمك، فإني لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم علم من فيها، وأجعل ذلك دستورا للعلم وسلما إلى مراقيها، فساعدني حين رأى جدي، وكانت صحبته لي من أعظم أسباب جدي..."(٥٧)، لقد كان والده حريصا على تعليمه، وهو ما أشار له ابن العربي في بداية حديثه عن رحلته إلى الحجاز، إذ ذكر المعلمين الذين أحضرهم والده لتعليمه القرآن وحذقه له في سن التاسعة، وكذلك تعلمه الحساب وفنون اللغة وهو لا يزال صبيا في إشبيلية.

وفي بيت المقدس التقى علماء خراسان، وبلقائه لهم عزم على الارتحال إلى العراق، ليواصل تحصيل العلم، يقول: "... وفي أثناء ذلك ورد علينا برسم زيارة الخليل – صلوات الله عليه، ولنية الصلاة في

(٥٢) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٨-١٩٩
(٥٣) السابق ص١٨
(٥٤) السابق ص٢٠١-٢٠٢
(٥٥) السابق ص٢٠
(٥٦) السابق ص٢٠٣
(٥٧) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢٠٤

المسجد الأقصى – جماعة من علماء خراسان... فاستخرت الله تعالى على المشي إلى العراق..."[٥٨]، فخرج من بيت المقدس إلى عسقلان[٥٩]، وأقام بها نحوا من ستة أشهر، يقول: "... وخرجت حينئذٍ إلى عسقلان متساحلا، فألفيت بها بحر أدب يعب عبابه، ويغب ميزابه، فأقمت بها لأرتوي منه نحوا من ستة أشهر..."[٦٠]، ثم ركب البحر إلى عكا، ثم طبرية، وحوران، ثم دمشق[٦١]، يقول: "...ودخلنا البحر في الحين إلى عكا، وأنجدنا طبرية، وحوران، وصمدنا دمشق، وفيها جماعة من العلماء..." [٦٢]، ويشير سياق الرحلة إلى أن وصوله مع والده إلى دمشق كان في الشهور الأولى من سنة (٤٨٩هـ)[٦٣].

ويذكر خروجه بعد ذلك من بلاد الشام إلى العراق، مرورا بضميراء، ثم السماوة، ثم بغداد[٦٤]، يقول:"... ثم خرجنا إلى العراق، فلما نزلنا ضميراء – آخر السواد وأول السماوة – سقينا واستقينا، ثم خرجنا عنه مصحرين في السماوة، عشيّ يوم الأحد منسلخ شعبان سنة تسع وثمانين وأربعمائة، فبينما نحن نقطع المفاوز... أهلّ علينا هلال رمضان فكبّر الناس... حتى بلغنا بغداد..."[٦٥]، ونلحظ أنه يحدد وقت خروجه إلى العراق بأواخر شهر شعبان من عام (٤٨٩هـ)، ويصف لقاءه بعلمائها ومن يفد إليها من سائر الأقطار، ويذكر فضل إقامته في بلاد الشام، ثم ارتحاله إلى العراق ليمحّص ما حصله من علم ومعرفة.

وبعد أن وصف رحلته العلمية، وتحصيل ما تاقت إليه نفسه من العلم ولقاء العلماء ومجالستهم ومدارستهم ومناظرتهم، أشار إلى التوصل إلى ما كان يطلبه ويرتحل في سبيله، يقول: "... فالمقصود بكل نظر، وفي كل قول وعمل إنما هو الله سبحانه، وحيث استنورت الطريق، ولاحت لي جادة التحقيق، وتحقق عندي أن كتاب الله هو المرشد إليه، والدليل عليه... فقرأت من كتب التفسير كثيرا، ووعيت من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيونا، وما كنت أسمع بأحد يشار إليه بالأصابع، او تثنى عليه الخناصر... إلا رحلت إليه قصيا، أو دخلت إليه قربا..."[٦٦].

وبعد أن وصف رحلته الطويلة في طلب العلم والتي ابتدأت بخروجه من الأندلس سنة (٤٨٥هـ)، إلى أن وصل بغداد سنة (٤٨٩هـ)، وارتحل منها في ذات العام[٦٧] إلى الحجاز لأداء فريضة الحج –

(٥٨) السابق ص٢٠٨-٢٠٩

(٥٩) عسقلان، مدينة ساحلية جنوب فلسطين، انظر: معجم البلدان، (ج٤)، ص١٢٢

(٦٠) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢١٢-٢١٣

(٦١) عكا، طبرية، مدينتان من مدن فلسطين، انظر: معجم البلدان، (ج٤)، ص١٤٣-١٤٤، حوران، دمشق، من أرض سوريا، انظر: معجم البلدان، (ج٢)، ص٣١٧-٤٦٣

(٦٢) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢١٣-٢١٤

(٦٣) السابق ص٣٠

(٦٤) ضميراء، موقع قرب دمشق، السماوة، بادية بين الكوفة والشام، انظر: معجم البلدان، (ج٣)، ص٢٤٥-٢٧٢

(٦٥) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢١٥-٢١٦

(٦٦) السابق ص٢٢٤-٢٢٧

(٦٧) يرى الدكتور إحسان عباس أن خروج ابن العربي للحج كان عام (٤٩٠هـ) وليس (٤٨٩هـ)، وعلل ذلك بأنه كان

وهي الغاية التي ارتحل من أجلها ابتداء برفقة والده – فقد خرج من بغداد ونزل بالعريش على أحد حفدة النعمان بن المنذر، يقول: "لما كانت سنة تسع وثمانين وأربعمائة (٤٨٩هـ) أهلّ علينا هلال ذي الحجة ليلة الخميس بالدبرة، فرحلنا عنه، وقد فرح الناس بوقفة الجمعة، ليجتمع لهم فضل اليومين: فضل يوم عرفة، وفضل يوم الجمعة..."(٦٨)، ثم يسرد أعماله بمكة ونشاطه فيها، ولقاءه علمائها، ويصف بعد ذلك رحلته إلى المدينة النبوية ولقاء علمائها، ويختم بعودته إلى بغداد ثانية بعد أداء فريضة الحج، وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة النبوية، وذكر لقاءه بالغزالي، ومجالسته له، واستفادته منه، ومن غيره من علماء العراق وزائريها، إلى أن رحل عنها بصحبة والده سنة (٤٩١هـ) بعد أن قضى بها عامين كاملين، وعرّجا على دمشق، والقدس، في طريقهما إلى الإسكندرية التي دخلاها سنة (٤٩٢هـ)، وفيها توفي والده، فاعتزل لهول الفاجعة حياة الناس، وعاش ردحا من الزمن إلى جانب العبّاد والزهّاد في المحارس والربط(٦٩).

ونلحظ فيما سبق في محطات الرحلة أن السارد يوظف الأفعال ويركز على الفعل الماضي، وذلك لحركية الزمن في الرحلة، فقد ظل متنقلا بين الأقطار التي مر أو مكث بها في سبيل الوصول إلى غايته، وتركيزه على الفعل الماضي تأكيد لوقوع وانتظام أحداث الرحلة، كما أنه دوّن رحلته بعد عودته إلى إشبيلية.

وقد اختلفت الروايات في مدة رحلة ابن العربي، وأصحها أنها عشر سنوات أو تزيد، وقد ابتدأها في مستهل ربيع الأول سنة (٤٨٥هـ)، وانتهى منها سنة (٤٩٥هـ)، يقول ابن العربي: "وقد تولّجت تلك الأقطار الكريمة، ودخلت تلك الأمصار العظيمة، وجبت الأقطار القاصية نيفا على عشرة أعوام..."(٧٠).

ثالثا - تدوين الرحلة:

دوّن ابن العربي رحلته – موضوع الدراسة – في كتابه: ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، و تشير بعض المصادر إلى أن هذا الكتاب فقد، وربما أنه أُحرق مع كتب أخرى لابن العربي عندما استلبت داره ومتاعه إبان توليه القضاء بإشبيلية، وقد أشار ابن العربي لذلك، إذ يقول: "... إن الله سبحانه – له الحمد وله الشكر، وبيده الخير والشر، ومنه النفع والضر، يسّر لي طلب العلم على الوجه

منهمكا في الأخذ عن شيوخ بغداد ذلك العام، انظر: مجلة الأبحاث اللبنانية، (م١)، ص٥٩ وما بعدها، ويمكن بيان ذلك من خلال ما دوّنه ابن العربي في كتابه: عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، (ج٤)، ص٣٦ عن خروجه للحج عام (٤٨٩هـ)، انظر كذلك: مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٣٦-٣٧

(٦٨) عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، (ج٤)، ص٣٦، وانظر كذلك: مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٣٦

(٦٩) انظر: مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٦٧-٦٨

(٧٠) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٧٢، نقلا عن: العواصم= =من القواصم، لابن العربي، تحقيق د. عمّار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٤٥هـ، ١٩٢٦م، (ج٢)، ص٨٢

الذي كنا رتبنا بيانه في كتاب (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة) فلما شذ في معرض المقادير، واستلبته الحوادث بما سبق في علم الله من التدبير، رأينا أن نجدد منه ما سلم في الرقاع الموجودة، مع ما حضر في الذكر عنوانا لما جرى، وتنبيها على فضل ما تأوب وسرى، وحجة لمن قال: تعنّى من تمنّى أن يكون مثل من تعنّى"[٧١]، وعليه فإن ابن العربي قد دوّن رحلته إلى الحجاز في كتاب مستقل رام منه تقديم ما حواه من أحداث رحلته أمام المتطلّعين إلى المعرفة والعلم، وبيان ما كان عليه المشرق الإسلامي في تلك الفترة من حركة علمية كبيرة، ومناظرات منتشرة في كافة العلوم والمعارف والفنون، ليؤكد أن صاحب الهمّة العالية لا تثنيه مخاطر الارتحال، وما يتعرض له من المتاعب في سبيل تحصيل العلم وزيارة البقاع المقدسة، وعندما فُقد الكتاب مع ما فُقد من كتبه، أعاد كتابة ما بقي محفوظا في ذاكرته ورقاع المذكرات التي احتفظ بها عن رحلته.

وقد برزت المعاينة والمشاهدة في سرد ابن العربي لأحداث رحلته، وهذا الأساس الذي اعتمده يعد أساسا لكثير من الرحالة المغاربة الذين اعتمدوا على المعاينة في تدوين رحلاتهم، ونقل أخبارهم، وهذا "يقتضي أن تتوفر في الرحالة صفات خاصة تقيه خداع الحواس، وتمكّنه من لمح البعيد والسريع، وحسن رؤية القريب"[٧٢]، ولأن ابن العربي ذكر في رحلته العلماء الذين أخذ عنهم في كافة الأقطار التي نزل بها في إفريقيا وبلاد الشام والعراق والحجاز، وسرد ما كان يدور في مجالسهم من المسائل الفقهية، واللغوية، والمناظرات، فقد كان يتمتع بصفات العالم في نقله وأمانته، لما يترتب على تلك الآراء من مسائل فقهية تتعلق بالعبادات الدينية، واعتمد على ذاكرته وبعض الرقاع التي دوّن فيها شيئا عن رحلته ومسارها وأحداثها، وبرز عنصر السرد في نقل مشاهداته في رحلته الطويلة.

المبحث الثالث:

مكونات السرد في الرحلة:

يقتضي كل خطاب تواصلي وجود مرسل، ورسالة، ومرسل إليه، ولأن الحكي قصة محكية فهو خطاب يفترض وجود مكوّنات سردية مهمة تكتمل بها بنية الخطاب السردي، وهي: السارد (الشخص الذي يحكي القصة)، وشخص مستقبل الحكي (المسرود له)، والمحكي (المروي أو القصة المسرودة)، وهذه العناصر الثلاثة المكوّنة للخطاب السردي نجدها ماثلة في رحلة ابن العربي إلى الحجاز، فالسرد في الكتابة الرحلية توجهه ذات السارد – الرحالة – لما يلفت انتباهه، ومقصده من تدوين الرحلة، نجد ذلك في المكوّنات التالية:

(٧١) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٨٥-١٨٦

(٧٢) أدب الرحلة، حسين ناصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، (ط١)، ١٩٩١م، ص٦٩

أولا - التشكيل السردي في الرحلة:

الرحلة عبارة عن سلسلة من الأحداث المتتابعة التي عاشها الرحالة فعليا، وأثناء الكتابة يعيد تقديم هذه الأحداث(٧٣)، فالسرد الرحلي يستمد أحداثه وتسلسلها من فعل الرحلة نفسه، ويعد السرد في أدب الرحلات بشكل عام الرابط بين التجربة الفعلية الماضية للرحالة، وهو ما دوّنه ابن العربي في كتابه: (ترتيب الرحلة) وبين استحضارها ذهنيا، ثم سردها في كتابة خطية، فقد استحضر ابن العربي أحداث رحلته بعد أن فُقد كتابه (ترتيب الرحلة)، وسرد محطات رحلته لأداء فريضة الحج، وما سبقها من تنقل في الأقطار العربية والإسلامية لطلب العلم، ثم استكمال رحلته العلمية بعد عودته من الحجاز، وقد برزت أحداث الرحلة التي دوّنها اعتمادا على الرقاع بما حفظته من أحداثها، ومحطاتها، وشخوصها أو استحضارا مما وعته ذاكرته، مكتملة المسار والأحداث، إلا إنها حتما لن تكون بذلك التفصيل الذي حواه كتابه (ترتيب الرحلة)، ورغم ذلك فإن سرد أحداث ومحطات رحلة ابن العربي جاءت مستوفية لرحلته الطويلة على مدى عشرة أعوام، بدءا من خروجه من إشبيلية مرورا ببعض المدن الأندلسية، ثم الشمال الإفريقي إلى بلاد الشام، ثم العراق، ثم الحجاز، ثم العودة إلى العراق، ومنها إلى مصر في طريق عودته.

وقد تميّز سرد ابن العربي لأحداث ومحطات رحلته بذكر العلماء الذين التقاهم ودرس عليهم، وأبدى وجهة نظره في علم وفقه بعضهم، وانصب تركيزه على علماء كل بلد مر به أثناء رحلته، نجد ذلك في مثل قوله يصف علماء مالقة في بداية خروجه من إشبيلية: "فكان أول بلد دخلت مالقة، فألفيت بها أمة رأسهم الشعبي، وأشهر ما عنده نسبه، وعنده رواية ومسائل، ولديه حشمة، وله عند الأمراء جاه، ثم طفرت من أغرناطة إلى المرية، فرأيت بها رجالات المسائل والقراءات، وأدباء متوسطي المنزلة – بين درجتي التقصير والكمال..."(٧٤)، وقوله يصف علماء بجاية: "وركبت البحر محفوزا فأرفأنا إلى بجاية، فرأيت فيها جماعة من أهل المسائل، ولقيت محمد بن عمار الميورقي رأسا فيها مشاركا في معارف وحديث، ومسائل وأدب، وربما كانت عنده في الأصول إشارة على منوال الباجي ونظرائه"(٧٥)، وقوله يصف علماء المدن التونسية: "ثم دخلت سوسة والمهدية فلقيت جملة من أصحاب السيوري وغيرهم من فقهاء القيروان كابن حبيب، وحسّان واللبيدي، وأبي الحسن بن الحداد، في القراءات والأدب والكلام، ومن أصحاب ابن القديم جملة(٧٦)، وكان متكلما مخصوصا به، فلما لمح لي هذا الكوكب بطريقة القيروان، واستنارت لي بنوع من

(٧٣) انظر: الرحلات المغربية السوسية بين المعرفي والأدبي، محمد الحاتمي، مختبر البحث في التراث والأعلام والمصطلحات، الرباط، (ط١)، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، ص٢٨٧

(٧٤) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٣-١٩٤

(٧٥) السابق ص١٩٤-١٩٥

(٧٦) أشار المحقق أنه ربما أراد بـ (ابن القديم)، (ابن الصائغ)، ومن أصحابه الذين أخذ عنهم ابن العربي، أبو عبدالله المازري، انظر: مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٧، نقلا عن شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد محمود مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٤٩هـ

البرهان ... قلت هذا مطلبي، فأخذت في قراءة شيء من أصول الدين، والمناظرة فيها مع الطالبين، ولزمت مجالس المتفقهين، وكان فيها الأدب على حالة وسطى"(٧٧)

ويأخذ على علماء مصر – التي انتقل إليها عبر برقة – انكفاءهم عن مجالسة الناس ومدارسة العلوم، إذ يقول: "... وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر، فألفينا بها جماعة من المحدّثين، والفقهاء والمتكلمين، والسلطان عليهم جري، وهم من الخمول في سرب خفي، ومن هجران الخلق بحيث لا يرشد إليهم جري، ولا ينبسون من العلم ببنت شفة، ولا ينتسب أحد منهم في فن إلى معرفة..."(٧٨)

ويصف دخوله بيت المقدس، ولقاءه علماء الشافعية، وبقاءه فيها ما يربو على ثلاثة أعوام، ينهل من معين علمائها، ويحضر مجالس المناظرات، ويصف انتظامه في حضور مناظرات مدارس الحنفية والشافعية كل يوم، يقول: "ثم رحلنا عن ديار مصر إلى الشام، وأملنا الأمام، فدخلنا الأرض المقدسة، وبلغنا المسجد الأقصى، فلاح لي بدر المعرفة، فاسترت به أزيد من ثلاثة أعوام، وحين صليت بالمسجد الأقصى فاتحة دخولي له، عمدت إلى المدرسة الشافعية بباب الأسباط فألفيت بها جماعة من علمائهم في يوم اجتماعهم للمناظرة عند شيخهم القاضي الرشيد يحيى... وأدخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور المتناظرين من الطوائف، لا تلهينا تجارة، ولا تشغلنا صلة رحم، ولا تقطعنا مواصلة ولي، وتقاة عدو"(٧٩).

ويصف شغفه بالاستزادة العلمية، وارتحاله إلى العراق لما رآه ووجده من علمائها الذين التقاهم في بيت المقدس، فأعجب بهم وبعلمهم وبلاغتهم، فمضى إلى العراق التي لم تكن تقل مجالس علمائها وما يدور فيها من مناظرات عما وجده عند علماء الشام، يقول: "... ورد علينا برسم زيارة الخليل – صلوات الله عليه، ولنية الصلاة في المسجد الأقصى – جماعة من علماء خراسان، كالزوزني، والصاغاني، والزنجاني، والقاضي الريحاني... فلما سمعت كلامهم، رأيت أنها درجة عالية، ومزية ثانية، وبزّ من المعارف أغلى، ومنزلة في العلوم أعلى... فاستخرت الله على المشي إلى العراق..."(٨٠)، وكان ارتحاله إلى العراق مرورا بعسقلان التي مكث فيها ستة أشهر، وخرج منها لما رأى من أفعال صوفية، وغناء يتحلق الناس حول من يغنيه، وفي طريقه انتقل إلى طبرية، وحوران ودمشق، والتقى علماءها وعلى رأسهم الشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي، يقول: "... وخرجت حينئذٍ إلى عسقلان متساحلا، فألفيت بها بحر أدب يعب عبابه... فأقمت بها لأرتوي منه نحوا من ستة أشهر... إلى أن جئت لقم طريق وقد امتلأ بالناس، وهم منقضون على جارية تغنّي في طاق... فقلت... ارحل من حينك إلى نيتك الأولى... وأنجدنا إلى طبرية، وحوران، وصمدنا دمشق، وفيها جماعة من العلماء، رأسهم شيخ الوقت سناء وسنا، وعلما

(٧٧) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٧-١٩٨
(٧٨) السابق ص٢٠١-٢٠٢
(٧٩) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢٠٣-٢٠٦
(٨٠) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢٠٨-٢٠٩

ودينا، نصر بن إبراهيم المقدسي النابلسي..."[٨١]، ثم يصف مجالس علماء العراق ويذكر العلماء الذين التقاهم، وطائفة من المسائل التي تداولها العلماء في تلك المجالس

ويصف بعد ذلك رحلته من العراق إلى الحجاز، لأداء مناسك الحج، وقد وصفها وصفا دقيقا، وكان يتوخّى فيها التزام سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويذكر طائفة من علماء الحجاز، وعلماء العالم الإسلامي الذين أدوا فريضة الحج، وكان لقاؤهم في مكة المكرمة، أو المدينة النبوية لزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عاد إلى العراق مرة أخرى، وكان له فيها نشاط علمي واسع، ومنها ارتحل إلى مصر ثانية، ثم عاد إلى مراكش المغربية، ومنها عاد إلى إشبيلية بدعوة من الأمير سير بن أبي بكر اللتموني، وقد ولاه الشورى، وهو منصب عالٍ لا يرقى إليه إلا الصفوة المختارة من رجالات الفكر، وأئمة الفقه، مما جعل بعض معاصريه يخلعون عليه لقب الوزير.

مما سبق يمكن القول: إن السرد في رحلة ابن العربي إلى الحجاز امتاز بأنه سرد تقريري، برز فيه سرد الأحداث، دون تأنق في الأسلوب، ودون إضفاء أي صبغة ذاتية على السرد، وبرزت فيه أيضا دقة العالم الفقيه في تحرير المسائل، ووصف الديار، والبلدان وعلمائها كما وجده، ولاحظه، ووقف عليه بنفسه، ونلحظ أن سرد ابن العربي لرحلته تميز بما يلي:

١- سرد أسماء البلدان التي مر بها على الترتيب، وذكر علماء البلدان العربية والإسلامية التي نزل بها، ووصف ما كان يدور في مجالس علمائها من تحقيق المسائل الفقهية، ومداولات الأدب، ومناظرات الفرق المذهبية، والمسائل التي استمع إلى آراء العلماء فيها، في بلاد الشام والعراق، وكذلك المسائل التي أبدى رأيه فيها انتقادا أو تحريرا.

٢-تتابع سرد أحداث ومسار الرحلة، وهذا التتابع هدف منه إخبار المسرود له بمراحل السفر المتلاحقة، ومحطات النزول المتوالية دون النظر لما سواه.

ثانيا - السارد في الرحلة:

تعد تقنية السارد "من أقدم التقنيات توظيفا في مجال السرديات، فلو عدنا إلى أقدم أنماط السرد في التراث العربي، لوجدنا أن هذه التقنية قد وظفت بأشكال مختلفة، لكنها تتفق جميعها على أنها تمثل الذات الثانية للكاتب، التي من خلالها ينقل خطابه السردي للمتلقي"[٨٢].

وفي رحلة ابن العربي تبرز الرؤية (Vision)، وهذه الرؤية السردية تكون معرفة السارد فيها على قدر معرفة الشخصية الحكائية "فلا يقدم لنا أي معلومات أو تفسيرات إلا بعد أن تكون الشخصية نفسها قد توصلت إليها، ويستخدم هذا الشكل ضمير المتكلم، أو ضمير الغائب، والسارد في هذا النوع إما أن يكون

(٨١) السابق ص٢١٢-٢١٤

(٨٢) تجليات الخطاب الروائي مقاربة في تقنيات السرد، عماد خالد، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة= =(ط١)، ٢٠١٦م، ص٥٤

شاهدا على الأحداث أو شخصية مساهمة فيها"[٨٣]، وهو ما نلحظه في سرد ابن العربي لرحلته، فلم يكن يقدم معرفته المسبقة عن علماء البلدان التي نزل بها قبل أن يلتقيهم ويسمع ما يدور في مجالسهم، ورأينا كيف انتقد بعض الأفكار عند بعضهم، واعتزال بعض آخر مجالسة الناس، فبرز السارد العليم ليحكي طريق رحلته، ومواضع نزوله، وشيوخه، وبعض مشاهداته في البلدان التي زارها، ونلحظ أنه وظف ضمير المتكلم، فهو صاحب الرحلة، ومدوّنها، وتوظيفه لضمير المتكلم بوعي من السارد، فبتوظيفه يستطيع التوغل إلى أعماق النفس البشرية فيغريها بصدق، ويكشف عن نواياها بحق، ويقدمها إلى القاريء كما هي لا كما يجب أن تكون[٨٤]، نجد ذلك في مثل قوله: "أني كنت في عنفوان الشباب وريان الحداثة"[٨٥]، وقوله: "قرأت من الأشعار جملة منها: الستة، وشعر الطائي، والجعفي، وكثيرا من أشعار العرب والمحدثين"[٨٦]، وقوله: "ثم دخلت سوسة، والمهدية، فلقيت بها جملة من أصحاب السيوري، وغيرهم من فقهاء القيروان"[٨٧]، وقوله: "فلما سمعت كلامهم، رأيت أنها درجة عالية، ومزية ثانية، وبزّ من المعارف أغلى، ومنزلة من العلوم أعلى... فاستخرت الله تعالى على المشي إلى العراق"[٨٨].

وقد يرد ضمير المتكلم بصيغة الجمع، نجد ذلك في حديث ابن العربي عن ارتحاله مع والده ومن كان يرافقهما، وخاصة عند ركوب البحر والانتقال من مكان إلى آخر في محطات الرحلة، وذلك في مثل قوله: "فدعت الضرورة إلى الرحلة فخرجنا – الأعداء يشمتون بنا، وآيات القرآن تنزع لنا، وفي علم الباري – جلت قدرته – أنه ما مر عليّ يوم من الدهر كان أعجب عندي من يوم خروجي من بلدي"[٨٩]، فقد ابتدأ السرد بضمير المتكلمين (نا – خرجنا، لنا)، عند الحديث عن الركب، ثم تحول عنه إلى ضمير المتكلم (ياء – عندي، خروجي، بلدي)، وقوله يصف خروجهم من مالقة: "... ثم خرجنا عنها متساحلين، نقطع البحر قطع القفر، وحالة مصحرين..."[٩٠]، وقوله يصف ارتحالهم عن مصر إلى الشام: "ثم رحلنا عن ديار مصر إلى الشام، وأملنا الأمام، فدخلنا الأرض المقدسة، وبلغنا المسجد الأقصى..."[٩١].

وقد يأتي بضمير المتكلمين عند الحديث عن مجالس العلماء التي تعج بطلبة العلم، وحاضري المناظرات بين أصحاب المذاهب الفقهية، في مثل قوله: "وقد حضرنا يوما مجلسا عظيما فيه

(٨٣) تقنيات السرد في الرحلة الورثيلانية ص١٠٤-١٠٥
(٨٤) انظر: في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، د. عبدالملك مرتاض، عالم المعرفة، ١٩٩٨م، ص١٨٤-١٨٥
(٨٥) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٨٦
(٨٦) السابق ص١٨٨
(٨٧) السابق ص١٩٧
(٨٨) السابق ص٢٠٩
(٨٩) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩١
(٩٠) السابق ص١٩٦
(٩١) السابق ص٢٠٣

الطوائف..."[٩٢]، وقوله: "فلزمنا شيخنا نصر بن إبراهيم في السماع، وانتهينا إلى سماع كتاب البخاري بعد تقديم غيره عليه..."[٩٣].

ولم يخل السرد في رحلة ابن العربي من ضمير الغائب، فهو يحكي عن جملة من العلماء الذين التقاهم وجالسهم، وحضر في حلقات العلم لديهم، ووصف تلك المجالس، أو المناظرات التي كان يحرص على حضورها، والإفادة من آراء علماء المدارس الفقهية والمذهبية، وطرق الحجة والبرهان التي كانوا يدعمون بها آراءهم، وذلك في مثل قوله يصف أحد علماء (بجاية): "ورأيت رأس وزعتها القاسم بن عبدالرحمن، رواء وروية... قصدنا إلى منزله – وهو على محل من الدولة عظيم، وفي رؤسائها مقدم زعيم"[٩٤]، وقوله يصف نزولهم ببني كعب ببرقة، وإكرام الأمير لهم: "...فعطف أميرهم علينا عرق كان فيه من الحضرية... فأوينا إليه فآوانا، وأطعمنا الله على يديه وسقانا، واحتملنا وكسانا"[٩٥]، وقوله يصف علماء العراق الذين التقاهم ببلاد
الشام: "... فلما سمعت كلامهم، رأيت أنها درجة عالية، ومزية ثانية"[٩٦].

مما سبق نلحظ أن ابن العربي زاوج في سرد أحداث رحلته بين ضمير المتكلم بصيغتي المفرد والجمع، وكذلك ضمير الغائب، وهذا التنويع في توظيف الضمائر، يبرز وعي السارد بتوظيف هذه الضمائر بما يناسب أحداث ومحطات وشخصيات الرحلة، وحرص الرحّالة على تدوين رحلته ترغيبا للقارئ في طلب العلم، والارتحال إلى العلماء، وإلى الديار المقدسة، وهو ما أشار له في عنوان رحلته: "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة"، وقد برز ذلك في تدوينه لكافة البلدان التي مر أو نزل بها، وكذلك العلماء والفقهاء الذين التقاهم أو درس عليهم، مما أحدث تعالقا لافتا بين المسرود له والمادة المسرودة، ففي سرده عن محطات الرحلة ووصف الأمكنة التي نزل بها، جعل القارئ ينتظر الانتقال للقطر الذي يليه، وما حدث به، وما التقى به من علمائه.

ثالثا - المسرود له في الرحلة:

المسرود له في الرحلة هو ذلك الشخص الذي يوجه له السارد خطابا، والمخاطب يمكن أن يكون غير القاريء، انطلاقا من أن أي خطاب لابد له من مخاطب، وهو ما أشار له جيرالد برنس بأنه: "الشخص الذي يسرد له والمتموضع أو المنطبع في السرد"[٩٧]، وهو بناء سردي محض، يجب أن لا يخلط مع

(٩٢) السابق ص٢٠٧
(٩٣) السابق ص٢١٤
(٩٤) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٥
(٩٥) السابق ص١٩٨-١٩٩
(٩٦) السابق ص٢٠٩
(٩٧) المصطلح السردي ص١٤٢

المتلقي أو القاريء الحقيقي، لأن القاريء الحقيقي يمكن أن يقرأ لعديد من السرديات كل منها يحتوي على مسرود له مختلف.

وفي رحلة ابن العربي إلى الحجاز نلحظ أن المسرود له هو القاريء بمعناه العام، وهو ما يسمى بالمتلقي الحقيقي، فالقراءة هي أساس التلقي، ومن خلالها يمارس القاريء إعادة بناء النص، والنص في الرحلة بنية شاملة، تتناول الحياة العلمية، والحركة الفكرية والأدبية في البلدان التي زارها السارد – ابن العربي – وكذلك مشاهداته في الحجاز، وأداء فريضة الحج، وما يصاحب هذا المؤتمر السنوي من حركة علمية تجمع علماء الأقطار الإسلامية، وحلقات العلم في المسجد الحرام، والمسجد النبوي الشريف، كأقدم جامعتين عرفهما العالم الإسلامي.

ووصف ابن العربي الحياة الاجتماعية في البلدان التي نزل بها وهو في طريقه إلى الحجاز، وأثناء عودته منها، ووصف كذلك المدن التي أقام أو مر بها في طريق
رحلته ذهابا، وعودة.

وبما أن الرحلة وصف حكائي عن أحداث سفر عاشها الرحالة، فإن هذه الأحداث تابعة لخطية الزمن الذي يشكل السفر البنية الناظمة له، ولذا يظهر حكي الرحلة كتتابع زمني بدأ بزمن خروج الرحالة – ابن العربي – من إشبيلية، وينتهي بالرجوع إليها، في رحلة طويلة مكانيا من المغرب الأقصى إلى المشرق، ثم العودة إلى نقطة بدء الرحلة، وزمانيا إذ استغرقت أكثر من عشرة أعوام.

وعليه يمكن القول: إن تسمية ابن العربي لكتابه: (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة)، يبرز المسرود له المراد، فقد أراد بتدوينه لأحداث ومحطات رحلته بما اشتملت عليه من مخاطر ونصب، إلى ترغيب المسرود له (القاريء) إلى أن يحذو حذوه في طلب العلم، وأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، وربما إشارة أخرى وهي السنة الحسنة التي سنّها للرحالة المغاربة لتدوين رحلاتهم، خاصة في ذلك الزمن المتقدم من تاريخ الأمة، وما كان يجده الرحالة من عناء في سبيل الوصول إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعا - الزمن في الرحلة:

الرحلة نوع من القص أو الحكي، تتفاعل بحساسية كبيرة مع الزمن وتحولاته، فإن غاب الزمن غاب الحكي، ولذا ترتبط بنية النص الرحلي بسياقها الزمني الذي حدثت فيه، وفي رحلة ابن العربي إلى الحجاز يمكن دراسة الزمن من خلال:

١ – الزمن الطبيعي:

يحرص الرحالة على تقديم خطابه وفقا لمجرى الزمن الطبيعي الذي توالت فيه أحداث رحلته وخط سيرها، باعتبار ما يفرضه توالي الأحداث عبر سلسلة الوقائع والأفعال أثناء السفر، ولذلك يخضع الخطاب

الرحلي في الغالب إلى التسلسل الطبيعي لمراحل وأحداث الرحلة، وزمنها الطبيعي الذي حدثت فيه، فتبدأ الأحداث بمرحلة الانطلاق، ثم الوصول، ثم رحلة العودة إلى الوصول لنقطة الانطلاق مرة أخرى.

وقد ابتدأت رحلة ابن العربي بخروجه من إشبيلية برفقة والده إلى مالقة سنة (٤٨٥هـ)، ثم يمم مصر في أواخر ربيع الثاني سنة (٤٨٥هـ)، ثم قصد بلاد الشام وتحديدا بيت المقدس، وقد وصلها قبل نهاية سنة (٤٨٥هـ)، ومكث فيها لطلب العلم ما يزيد عن ثلاثة أعوام، ثم قصد دمشق، وكان وصوله إليها في الشهور الأولى من سنة (٤٨٩هـ)، ورحل عنها ميمما العراق في شهر شعبان من ذات السنة، ثم ارتحل إلى الحجاز لأداء مناسك الحج سنة (٤٨٩هـ)، ثم عاد إلى العراق سنة (٤٩١هـ)، ومنها يمم الإسكندرية سنة (٤٩٢هـ).

وتشير أحداث الرحلة، والروايات إلى أن رحلة ابن العربي استمرت عشر سنوات، ولأن السارد – ابن العربي – يحكي أحداثا حقيقة، فقد وظّف الزمن الطبيعي (التزامن) لأحداث رحلته، وحرص على أن تكون الرحلة وأحداثها دافعا لغيره من طلبة العلم، خصوصا وأنه أراد منها معرفة الحق، كما أشار لذلك في قوله: "... فالمقصود بكل نظر، وفي كل قول وعمل، إنما هو الله سبحانه، وحيث استنورت الطريق، ولاحت لي جادة التحقيق، وتحقق عندي أن كتاب الله هو المرشد إليه، والدليل عليه"[٩٨].

٢-زمن الحكي:

كان القاضي ابن العربي قد دوّن رحلته في كتابه: (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة)، ولا شك أنه اشتمل على تفصيلات كثيرة عن رحلته التي استمرت ما يزيد عن عشرة أعوام، ولفقد الكتاب عاد ابن العربي لرقاع دوّن عليها أحداث رحلته، واستجمع ذاكرته وأعاد كتابة أحداث الرحلة، وأثبت خلاصتها في كتابه: (قانون التأويل) – وجاءت أحداثها مستوفاة رغم اعتماده على ذاكرته في السرد – فسرد الأحداث، والديار التي مر أو مكث بها، والعلماء الذين التقاهم، والمسائل الفقهية التي ناقشها، وظهر في سرده لها دقة العالم الفقيه، وحرصه على طلب العلم، كما وصف ديار الحجاز، وسرد أعماله ونشاطه في الحج، وزيارته لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "... إن الله سبحانه – له الحمد وله الشكر، وبيده الخير والشر، ومنه النفع والضر، يسّر لي طلب العلم على الوجه الذي كنا رتبنا بيانه في كتاب: (ترتيب الرحلة للترغيب في الملة)، فلما شذّ في معرض المقادير، واستلبته الحوادث بما سبق في علم الله من التدبير، رأينا أن نجدد ما سلم منه في الرقاع الموجودة، مع ما حضر في الذكر ليكون عنوانا لما جرى، وتنبيها على فضل ما تأوب وسرى"[٩٩]، وقد كان زمن الحكي المسترجع بعد عودته إلى إشبيلية، أي بعد عام (٤٩٥هـ)، وقد أشار إلى ذلك في سرده لأحداث الرحلة، حيث ترحم على والده وقد وافته المنية بالإسكندرية في طريق عودتهما إلى إشبيلية مرورا بمراكش المغرب، يقول ساردا ما دار بينه وبين أبيه

(٩٨) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢٢٤-٢٢٧

(٩٩) السابق ص١٨٥-١٨٦

عندما عزم على أداء فريضة الحج، وكان ابن العربي يرغب البقاء في بيت المقدس للاستزادة من تحصيل العلم: "فقلت لأبي – رحمة الله عليه – إن كان لك نية في الحج فامض لعزمك، فإني لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم علم من فيها، فساعدني حين رأى جدي، وكانت صحبته لي من أعظم أسباب جدي..."(١٠٠)

٣- زمن القراءة:

يتناول هذا النوع من الزمن السردي مجموع أحداث الحكي، وهي في رحلة ابن العربي وصف لمراحل ومحطات الرحلة، والأماكن التي نزل بها، وطلب العلم على علمائها، منذ خروجه من إشبيلية، مرورا بالشمال الإفريقي، ثم الشام، والعراق، والحجاز، ثم العودة إلى العراق، والارتحال عنها إلى الإسكندرية، إلى عودته مرة أخرى إلى الأندلس.

وقد برز من أحداث الرحلة ومحطاتها توخي سرد الأحداث بترتيبها الزمني الذي وقعت فيه، فكان أمينا في تدوين ما شاهده وعايشه في تلك الرحلة الطويلة، وقد حفظ أحداثها بتدوينه لها، ليتلقاها القارىء الحقيقي منذ ذلك الوقت وعلى امتداد الزمن، ليظل زمن القراءة متجددا مع كل قارىء لها.

خامسا - الفضاء (المكان) في الرحلة:

يتميّز المكان في الرحلة عن غيره من الأمكنة في باقي الأجناس الأدبية السردية الأخرى بواقعية المكان في سرد الرحلة، حيث يوثّق العمل السردي في النص الأمكنة التي مر بها، وبرزت (الزمكانية) في دفع أحداث الرحلة، حيث كان عنصر الزمان محركا للانتقال من بلد إلى آخر لتحقيق غاية الرحالة، فارتبط تعدد الأمكنة بتعالق لافت بين عنصري الزمان والمكان، ويمكن تقسيم الأمكنة في رحلة ابن العربي إلى الحجاز إلى نوعين هما:

١- أمكنة شكّلت هدف الرحلة:

وتتمثل هذه الأمكنة في محطات الرحلة، وهدفيها المتمثلين في: طلب العلم، وأداء فريضة الحج، وهذه الأماكن تشمل في المقام الأول بيت المقدس، والعراق، والحجاز (مكة المكرمة والمدينة النبوية)، يقول في قصده لطلب العلم: "... وما كنت أسمع بأحد يشار إليه بالأصابع، أو تثنى عليه الخناصر، أو تصيخ إلى ذكره الآذان، أو ترفع إلى منظرته الأحداق، إلا رحلت إليه قصيا، أو دخلت إليه قربا"(١٠١)، ويقول في قصده للحجاز لأداء فريضة الحج، وزيارة المسجد النبوي الشريف: "... لما كانت سنة تسع وثمانين وأربعمائة (٤٨٩هـ)، أهلّ علينا هلال ذي الحجة ليلة يوم الخميس بالدبرة، فرحلنا عنه – وقد فرح الناس بوقفة الجمعة، ليجتمع لهم فضل اليومين: فضل يوم عرفة، وفضل يوم الجمعة..." (١٠٢).

(١٠٠) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢٠٤

(١٠١) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢٢٧

(١٠٢) عارضة الأحوذي، (ج٤)، ص٤٠-٤١، وانظر كذلك: مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر

وبهذا فإن الأمكنة التي شكّلت باعثي وهدفي الرحلة تعد محور الرحلة، خصوصا أنه مكث في بعضها يطلب العلم ثلاث سنين كبيت المقدس، وبعضها شكّل هدفا مهما يفوق الهدف الأول، وهو أداء مناسك الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف وتمثّل في مكة المكرمة والمدينة النبوية.

٢- أمكنة العبور:

سرد ابن العربي في أحداث ومراحل رحلته أمكنة شكّلت محطات عبور للوصول إلى الأمكنة المقصودة كهدف رئيس لتحقيق بواعث وأهداف رحلته، وهذه الأمكنة التي عبرها ابن العربي تمثّلت في مالقة التي خرج إليها في بداية رحلته من إشبيلية ليغادر الأندلس بعد أن استولى عليها المرابطون، ثم غرناطة، المرية، بجاية، ببونة (عنابة الجزائرية)، ثم إلى تونس، سوسة، المهدية، ثم إلى برقة، والإسكندرية التي نزل بها في طريق السفر والعودة، وهذه المدن والبلدان سرد لقاءه في بعضها ببعض علمائها، ولم يذكر في بعضها الآخر لقاء بعالم أو نحوه، مما يدل أنها كانت محطات عبور نحو الأمكنة التي كانت هدفا لتحقيق مبتغاه، يقول: "... فكان أول بلد دخلت مالقة، فألفيت بها أمة رأسهم الشعبي..."[١٠٣]، وقوله: "... ودخلنا تونس... ثم دخلت سوسة، والمهدية، فلقيت بها جملة من أصحاب السيوري، وغيرهم من فقهاء القيروان..."[١٠٤]، وقوله: "... وسرنا حتى انتهينا إلى ديار مصر، فألفينا بها جماعة من المحدثين والفقهاء، والمتكلمين..." [١٠٥]، لقد سرد ابن العربي جميع المدن والأماكن التي نزل بها، وهي أماكن متعددة وكثيرة، وذلك يعود لطول الرحلة مكانيا من نقطة الانطلاق إلى الهدف، ثم العودة إلى مكان بداية الرحلة، وزمانيا فقد استمرت الرحلة ما يزيد عن عشر سنوات، وذلك لأن الرحالة لم يكن يتوانى عن ملاحقة هدفه في طلب العلم في أي بلد نزل به، فذكر في تلك الأماكن حلقات العلم، والعلماء، وجموع المتعلمين، فلما تحقق له ما أراد من العلم، أكمل مسيره إلى الحجاز لأداء فريضة الحج، وزيارة المسجد النبوي الشريف، وبرز عدم اهتمامه بغير الأمكنة التي حقق فيها هدفيه اللذين شكلا أساس رحلته، ودفع تعالق (الزمكانية) أحداث الرحلة وتواصل السرد الحكائي، فقد ذكر الرحالة زمن الارتحال من الأندلس، مرورا بالشمال الإفريقي، ثم بيت المقدس، ثم العراق، ثم الحجاز، ثم عودته إلى العراق إلى أن عاد إلى إشبيلية، وذكر المدة التي مكثها في كل بلد نزل به.

سادسا - الشخصيات:

تعد الشخصية من أبرز عناصر السرد، فهي بمثابة النقطة المركزية التي يتمحور حولها الحكي، وتتشكّل بتفاعلها ملامح السرد، وتتكوّن بها أحداث العمل السردي، وتشير الشخصية إلى كثير من المعاني العامة،

بن العربي، ص٣٦

(١٠٣) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٣-١٩٤

(١٠٤) السابق ص١٩٧

(١٠٥) السابق ص٢٠١-٢٠٢

"إذ تشير أحيانا إلى القدرة على حسن التعامل مع الناس اجتماعيا"[١٠٦]، وفي رحلة ابن العربي إلى الحجاز نجد بروز شخصية الرحالة (ابن العربي)، فهي الشخصية المحورية والرئيسة، فطغت رؤيتها السردية على أحداث ومحطات الرحلة، وكانت الأحداث من هذه الشخصية وإليها، فهي المحرك والدافع لأحداث ومحطات الرحلة، نجد ذلك في مثل قوله: "... فكان أول بلد دخلت مالقة..."[١٠٧]، وقوله: "ثم طفرت من أغرناطة إلى المرية"[١٠٨]، وقوله: "... وركبت البحر محفوزا، فأرفأنا إلى بجاية"[١٠٩]، فمنذ الوهلة الأولى يتحدث الكاتب بضمير المتكلم: (دخلت، طفرت، ركبت)، وغير ذلك كثير في سرده لأحداث ومحطات رحلته.

ومن خلال الشخصية المحورية – شخصية السارد العليم – تعرفنا على شخصيات أخرى جامدة لم يكن لها دور في الأحداث أو البناء السردي سوى مرافقة الرحالة في محطات رحلته، أو شخصيات العلماء الذين ارتحل إليهم من بلد إلى آخر للدرس في حلق العلم التي كانوا يعقدونها، وتمحورت تلك الشخصيات حول شخصية الرحالة، فقد كان والد ابن العربي مرافقا له في رحلته الطويلة من الأندلس إلى المشرق العربي، وتوحي أحداث الرحلة إلى أن والده كان ينوي أداء فريضة الحج، فاصطحب ابنه معه، ولما رآه منه من شغف لطلب العلم، ولحرص والده على ذلك سايره في رغبته مرورا بالبلدان والمدن التي نزلا بها أو مكثا فيها، يقول ابن العربي: "... وكان من حسن قضاء الله، أني كنت في عنفوان الشباب، وريان الحداثة، وعند ريعان النشأة، رتّب لي أبي – رحمه الله – معلما لكتاب الله، حتى حذقت القرآن الكريم في العام التاسع"[١١٠]، وقوله يصف خروجه من بجاية برفقة والده ومن صاحبهما: "... ثم خرجنا عنها متساحلين، نقطع البحر قطع القفر، وحالة مصحرين... فلقيت ببونة"[١١١]، وقوله: "... فقلت لأبي – رحمة الله عليه – إن كان لك نية في الحج فامض لعزمك، فإني لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم علم من فيها، فساعدني حين رأى جدي، وكانت صحبته لي من أعظم أسباب جدي..." [١١٢]، فقد اعتذر لوالده أن يغادر بيت المقدس وقد وجد ضالته في حلقات العلم ومناظرات العلماء والفقهاء، فما كان من أبيه إلا موافقته على تأجيل رحلة الحج ذلك العام، ليلازم ابنه مجالس العلماء.

وسرد ابن العربي أسماء العلماء الذين التقاهم ودرس عليهم في البلدان والمدن التي مر أو أقام بها في رحلته سواء في بداية خروجه من إشبيلية، ثم الشمال الإفريقي، أو في بلاد الشام، فذكر منهم: الشعبي في

(١٠٦) الشخصية (بناؤها، أنماطها، اضطراباتها)، مأمون صالح، دار أسامة، عمّان، (ط١)، ٢٠٠٨م، ص٣

(١٠٧) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص١٩٤

(١٠٨) السابق ص١٩٤

(١٠٩) السابق ص١٩٤

(١١٠) السابق ص١٨٦-١٨٧

(١١١) السابق ص١٩٦

(١١٢) مختصر ترتيب الرحلة، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، ص٢٠٤

مالقة، وابن شفيع في المرية، ومحمد بن عمّار الميورقي في بجاية، وفيها أيضا القاسم بن عبدالرحمن، وسعد من أصحاب السيوري في ببونة، وفي سوسة والمهدية لقي أصحاب السيوري أيضا، ولقي في القيروان فقهاءها: ابن حبيب، وحسّان، واللبيدي، وأبي الحسن بن الحداد، وفي بيت المقدس: القاضي الرشيد يحيى، من علماء الشافعية، وأبو بكر الفهري، وعطاء المقدسي، والزوزني، والصاغاني، والريحاني، نصر بن إبراهيم، وفي العراق: أبو سعيد الحلواني، وإسماعيل الطّوسي.

وسرد شيوخه الذين التقاهم في مكة من العراق: أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبي، وأبو محمد الحسن بن علي الطبري، وأبو المعالي ثابت بن بندار الحمامي المقرئ، وكذلك أبو محمد عبدالله بن طلحة اليابري الأندلسي، وهو من شيوخ الزمخشري.

وكان سرد ابن العربي لأسماء مشائخه والعلماء الذين التقاهم ودرس عليهم أو ناظرهم أو ناقشهم في مسائل فقهية مفصلا وواصفا لما كان يدور في مجالس العلماء، من الدرس، والنقاش والمناظرة، وهذا يصف الحركة العلمية التي كانت تشع أنوارها في بلاد الشام والعراق والحجاز في تلك الفترة.

ونلحظ أن تعدد الشخصيات التي التقاها الرحالة أو درس عليها في كل بلد أو مدينة وحرصه على ذكرها خدمت تتابع السرد، وتنامي الحكي، وفي هذا إشعار للمروي له – القارىء – بواقعية الرحلة.

خاتمـــة:

تمثّل رحلة ابن العربي قيمة أدبية وتاريخية واجتماعية مهمة، فهو بتدوينه لرحلته يعد رائد هذا الفن، كأول من شق الطريق أمام تدوين الرحلة بالغرب الإسلامي، كما إنها تبرز الحركة العلمية والفكرية التي شهدتها البلدان الإسلامية في القرن الخامس الهجري، وما نتج عنها من مؤلفات أثرت المكتبة العربية حتى اليوم، وتبرز كذلك مكانة الحجاز (مكة المكرمة والمدينة النبوية) كمركزين علميين حضاريين، يجتمع فيهما علماء العالم الإسلامي في كل عام لأداء فريضة الحج، وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى دور علماء الحجاز في الحركة العلمية والفكرية إلى جانب علماء العالم العربي والإسلامي.

وقد هدف ابن العربي من تدوينه لرحلته إلى ترغيب الناشئة في طلب العلم، والإشارة للرحالة المغاربة بتدوين رحلاتهم إلى الحجاز، وهم يقدمون إليها من تلك الديار البعيدة في كل عام لأداء شعائر الحج، وفي هذا ثراء أدبي وتاريخي وجغرافي واجتماعي، يبرز البلدان والمواضع الجغرافية في كافة الأقطار التي تمر بها قوافل الحجيج، وما تكتنزه من تاريخ وحضارة، وعادات اجتماعية، بالإضافة إلى الأخبار والشخصيات من علماء وغيرهم، والسير التي يتضمنها أدب الرحلة.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، (ج١)، (ط٢)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٨٧هـ، ١٩٦٧م

٣- أدب الرحلة الجزائري الحديث، عيسى بخيتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (ط١) ٢٠١٧م
٤- أدب الرحلة، حسين ناصر، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، (ط١)، ١٩٩١م
٥- أدب الرحلة في المغرب والأندلس، علي إبراهيم كردي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ٢٠١٣م
٦- البنية السردية في الرحلة المازنية إلى الحجاز، د. عبدالله بن خميس العمري، مجلة جامعة الباحة للعلوم الإنسانية، العدد(٢٤)، محرم ١٤٤٢هـ، سبتمبر ٢٠٢٠م
٧- البنية السردية في كتاب الإمتاع والمؤانسة، ميساء سليمان إبراهيم، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١١م
٨- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، د. حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٣م
٩- بيوتات فاس الكبرى، إسماعيل بن الأحمر، (ت٨٠٧هـ)، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م
١٠- تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، (ط٨)
١١- تجليات الخطاب الروائي مقاربة في تقنيات السرد، عماد خالد، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط١)، ٢٠١٦م
١٢- تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة، د. عبدالعليم محمد إسماعيل علي، مطبوعات جائزة الطيب صالح العالمية للإبداع الكتابي (الدورة الثامنة)، ٢٠١٨م
١٣- تقنيات السرد في الرحلة الورثيلانية، عيسى طهاري، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ١٤٤٠هـ، ٢٠١٩م
١٤- تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ١٩٩٧م
١٥- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، زكي محمد حسن، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، (ط١) ٢٠١٨م
١٦- الرحلات المغربية السوسية بين المعرفي والأدبي، محمد الحاتمي، مختبر البحث في التراث والأعلام والمصطلحات، الرباط، (ط١)، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م
١٧- الرحلات المغربية السوسية، محمد الحاتمي، دار المعارف الجديدة، الرباط، ٢٠١٢م
١٨- الرحلات في التاريخ الإسلامي، د. عيسى فتوح، مجلة التربية ومنظمة الثقافة لدول الخليج
١٩- الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ناصر عبدالرزاق الموافي، دار النشر للجامعة المصرية، مكتبة الوفاء، القاهرة، (ط١)، ١٩٩٥م

٢٠- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد محمود مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٤٩هـ
٢١- الشخصية (بناؤها، أنماطها، اضطراباتها)، مأمون صالح، دار أسامة، عمّان، (ط١)، ٢٠٠٨م
٢٢- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، (ط٤)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م
٢٣- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المالكي، وضع حواشيه: الشيخ جمال مرعشلي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، (ج٤)
٢٤- العواصم من القواصم، لابن العربي، تحقيق د. عمّار طالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٣٤٥هـ، ١٩٢٦م، (ج٢)
٢٥- في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد، د. عبدالملك مرتاض، عالم المعرفة، ١٩٩٨م
٢٦- قانون التأويل، أبو بكر محمد بن عبدالله بن العربي، دراسة وتحقيق محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، (ط١)، ١٤٠٦هـ
٢٧- كتاب المغازي، محمد بن عمر بن واقد، تحقيق: د. مارسدُن جونس، عالم الكتب، بدون(ط ، ت)
٢٨- لسان العرب
٢٩- مختار الصحاح، عبدالقادر الرازي، تحقيق: إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٥م
٣٠- مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، القاضي أبي بكر بن العربي، ملحق بكتاب: مع القاضي أبي بكر بن العربي، سعيد أعراب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط١)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م
٣١- مدخل إلى نظرية القصة، سمير المرزوق، جميل شاكر، (ط١)، الدار التونسية للنشر، بيروت ١٩٩٧م
٣٢- مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا، سيد حامد النساخ، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، (د.ط، ت)
٣٣- المصطلح السردي، جيرالد برنس، ترجمة: عابد خزندار، مراجعة وتقديم: محمد بريري، (ط١)، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ٢٠٠٣م
٣٤- مع القاضي ابن العربي، سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (ط١)، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م
٣٥- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م
٣٦- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، (ط٢)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م

٣٧- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م

٣٨- المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، أبو عبيد البكري، (ط الجزائر)، ١٨٥٧م

٣٩- من أدب الرحلات، د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، ٢٠٠٥م.